مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ١١: ٢١-٣٣؛ ١٢: ١-٩)

يا إخوةُ مهما يجترئ فيه أحدٌ (أقولُ كجاهلٍ) فأنا أيضاً أجترئُ فيه* أعبرانيونَ هم فأنا كذلك. أإسرائيليون هم فأنا كذلك. أذرّيةُ إبرهيمَ هم فأنا كذلك. أخُدَّامُ المسيحِ هم (أقول كمختلٍّ العقلِ) فأنا أفضل. أنا في الأتعابِ أكثرُ وفي الجَلْدِ فوق القياسِ وفي السجونِ أكثرُ وفي الموتِ مراراً* نالني من اليهودِ خمسَ مرّاتٍ أربعون جلدةً إلاّ واحدةً* وضُربتُ بالعِصيِّ ثلاثَ مرّاتٍ. ورُجمتُ مرَّةً. وانكسرتْ بي السفينةُ ثلاثَ مرّاتٍ. وقضَيتُ ليلاً ونهاراً في العُمقِ* وكنتُ في الأسفارِ مرّاتٍ كثيرةً وفي أخطارِ السُّيول

القديس إندراوس الكريتي

يُعتبر ناظمو التسابيح معلّمي الصلاة بامتياز، فهم يترجمون لنا صلاة القلب التي يسكبها الروح القدس في قلوبنا، وينقلونها لنا بلغة نفهمها ونستطيع ترددها. وناظم التسابيح هو مَن وهبه الله موهبة الترجمة هذه (١ كور ١٢: ١٠)، وهو يستعملها في الكنيسة بهدف بنيان الجماعة (١ كور ١٤: ٥، ١٢) وليكون كل شيء بلياقة وترتيب (١ كور ١٤: ٤٠). ومن الملاحظ أن ما ينقله لنا هؤلاء من تسابيح يخلو من العواطف البشرية، وهدفه أن ينقلنا إلى التوبة فنمجِّد الله ونشكره على عمله الخلاصي من أجلنا، كما نطلب شفاعة والدة الإله وجميع القديسين، ذاكرين فضائلهم وجهادهم في حياتهم في المسيح، ومحاولين التشبه بهم.

كل كتبنا الطقسية وضعها ذوو موهبة الترجمة هذه، أي ناظمو التسابيح، ورتّبها أناس اختبروا الصلاة ليساعدونا على فهم الصلاة وعيشها في أفضل طريقة ممكنة.

ومن أشهر ناظمي التسابيح القديس رومانوس المرنم والقديس يوحنا الدمشقي والقديس يوسف كاتب التسابيح والقديس إندراوس الكريتي الذي تعيِّد له كنيستنا المقدسة في الرابع من تموز.

وإذا كان القديس رومانوس قد اشتهر بما يُعرف في صلواتنا بنمط «القنداق» (وقد تكلّمنا عنه مفصلاً في أعداد سابقة)، فالقديسون الآخرون الذين ذكرناهم اشتهروا بما يُعرف بنمط «القانون»، ويعود الفضل في اختراع هذا النمط للقديس إندراوس الكريتي.

يتألف القانون من تسع مجموعات من التراتيل، تُسمَّى كل واحدة منها أودية (من الكلمة اليونانية Odhi التي تعني تسبحة)، وكل واحدة منها تحوي ترتيلة أساسية تُسمَّى إرمُس (من الكلمة اليونانية Irmos)، ومن عدَّة تراتيل تُسمَّى طروباريات (من الكلمة اليونانية Troparion). ترتبط كل أودية بتسبحة من التسابيح التسعة المأخوذة من الكتاب المقدس والمحفوظة في كتاب السواعي الكبير في خدمة السَحَر. ويرتل القانون في خدمة السَحَر بعد تلاوة المزمور

العدد ٢٠٠٨/٢٦

الأحد ٢٩ حزيران

تذكار القديسَيْن المجيدين بطرس وبولس هامتي الرسل الكلّي مديحهما

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الثاني

وفي أخطارِ اللصوصِ
وفي أخطارٍ من جِنسي
وأخطارٍ من الأُممِ وأخطارٍ
في المدينةِ وأخطارٍ في
البرّيةِ وأخطارٍ في البحرِ
وأخطارٍ بين الإخوةِ
الكَذَبة* وفي التَّعبِ والكدِّ
والأسهارِ الكثيرةِ والجوعِ
والعطَشِ والأصوامِ الكثيرةِ
والبردِ والعُري* وما عدا
هذه التي هي من خارجٍ
ما يتفاقمُ عليَّ كُلَّ يومٍ
من تدبيرِ الأمور ومن
الإهتمامِ بجميعِ الكنائس*
فمَن يضعُفْ ولا أضعُفُ
أنا أو مَن يُشكِّكْ ولا
أحترقُ أنا* إن كان لا بدَّ
منَ الإفتخارِ فإنّي أفتخرُ
بما يَخُصُّ ضُعفي* وقد
عَلِمَ اللهُ أبو ربِّنا يسوعَ
المسيحَ المبارَكُ إلى الأبدِ
أنّي لا أكذِبُ* كان بدمشقَ
الحاكمُ تحت إمرةِ الملكِ
الحارثِ يحرُسُ مدينةَ
الدمشقيينَ ليقبضَ عليَّ*
فدُلِّيتُ من كوَّةٍ في
زِنبيلٍ من السورِ ونَجَوتُ
من يدَيهِ* إنَّه لا يوافِقُني
أن أفتَخِرَ فآتي إلى
رؤى الربِّ وإعلاناتِه* إنّي
أعرِفُ إنساناً في المسيحِ
منذُ أربعَ عَشْرَةَ سنةً

الخمسين إلاّ ان استعماله في كنيستنا اقتصر على الخِدَم الديرية، باستثناء قانون الفصح، الذي يبدأ بترتيلة «اليوم يوم القيامة» (مؤلفه القديس يوحنا الدمشقي)، وقانون المديح الذي لا يُجلس فيه، الذي يبدأ بترتيلة «افتح فمي» (مؤلفه غير معروف)، وقانون التوبة الكبير (للقديس إندراوس الكريتي) الذي يُتلى في الأسبوع الأول من الصوم الكبير على أربعة أقسام، ثم يُعاد كاملاً في الأسبوع الخامس منه، والذي يبدأ بترتيلة «معيناً وساتراً صار لي للخلاص». أما في الخِدَم التي تُقام في الرعايا فاقتصر الأمر على ترتيل أراميس قوانين الأعياد السيدية التي تُسمَّى كاطافاسيات (من الكلمة اليونانية Katabasia)، مثل: «افتح فمي»، «إن موسى لما رسم الصليب»، «إن الألكن اللسان»، «اليوم يوم القيامة» «المسيح وُلد فمجدوه»، «إن الرب المقتدر في الحروب» و«إن عمق اليابسة»...

وُلد القديس إندراوس في دمشق حوالي العام ٦٦٠ م. وقد برزت لديه مواهب غير عادية، وهو بعد صغير السن، لا سيما في البلاغة ودراسة الكتاب المقدس. نذره ذووه لخدمة كنيسة القيامة في أورشليم. عيّنه قائمقام البطريرك، ثيودوروس، رغم صغر سنه، أميناً للوثائق البطريركية ومسؤولاً عن الشؤون الكنسيَّة. وقد أوفد بهذه الصفة إلى القسطنطينية بعد انعقاد المجمع المسكوني السادس بقليل (حوالي العام ٦٨٥ م.)، بمعيّة شيخين قديسَين ليقدّم للإمبراطور والبطريرك المسكوني اعتراف إيمان كنيسته دعماً لإدانة هرطقة المشيئة الواحدة. إلاّ أن القديس إندراوس بقي في القسطنطينية حيث توفرت له ظروف مؤاتية للصلاة والدراسة والأعمال الرسولية التي أعدّه الله لها.

وبعد أن استبانت موهبة الكلمة وخلاص النفوس عنده لعيون البطريرك والإمبراطور سيم شماساً للكنيسة الكبرى. كذلك أُسندت إليه مهمة العناية بميتم القديس بولس وملجأ الفقراء في حي أفجانيوس. وعلى مدى عشرين سنة ثابر بغيرة كبيرة على إدارة مؤسستَي الإحسان هاتين. وقد نجح في عمله لدرجة انه في العام ٧١١ م. صُيّر رئيس أساقفة على كريت. لكن، قبل أن يغادر إلى كريت انقلبت الأمور في القسطنطينية فاغتصب فيليبيكوس العرش وأُطيح بالبطريرك كيروس وعُيِّن يوحنا السادس محلّه. وكانت مهمّة هذا الأخير إلغاء قرارات المجمع المسكوني السادس وإنعاش هرطقة المشيئة الواحدة. ويبدو ان القديس إندراوس رضخ، في ذلك الحين، لضغط السلطة الجديدة عليه. ولكن ما إن استُبعد فيليبيكوس بعد سنتين حتى عاد إندراوس إلى نفسه تائباً معترفاً بمشيئتين في المسيح. وثمّة مَن يقول إنّه وضع قانون التوبة الكبير المعروف باسمه تعبيراً عن توبته لضلاله العابر يومذاك.

لهذا القانون الكبير وقع مميّز في نفوس المؤمنين كمحرِّك إلى التوبة. في هذا القانون يشير القديس إندراوس إلى كل صور العهدين القديم والجديد التي يمكن أن تمثل نماذج لسبيل الهداية والتوبة. بالنسبة للمؤمن التائب الذي عاين، في مطلع الصوم الكبير، صورة نفسه في آدم الجالس عند أبواب الفردوس، تجعله هذه الأمثلة، المستمَدّة من الكتاب المقدس، يدرك أنّه إذ يختزل في حياته خطايا العالم كلّه، لا يسعه التماس الخلاص

(أفي الجسدِ لستُ أعلمُ أمْ خارجَ الجسدِ لستُ أعلم. اللهُ يعلم) اختُطِفَ إلى السماءِ الثالثةِ* وأعرِفُ أنّ هذا الإنسانَ (أفي الجسدِ أم خارجَ الجسدِ لستُ أعلم. اللهُ يعلمُ)* اختُطِف إلى الفردوسِ وسمِعَ كلماتٍ سِريَّةً لا يحُلُّ لإنسانٍ أن ينطِقَ بها* فمن جِهةِ هذا أفتَخِر. وأمَّا من جهةِ نفسي فلا أفتَخِرُ إلاَّ بأوهاني* فإنّي لو أردتُ الإفتِخارَ لم أكُنْ جاهلاً لأنّي أقولُ الحقَّ. لكني أتحاشى لئلاَّ يظُنَّ بي أحدٌ فوق ما يراني عليه أو يسمعُهُ منّي* ولئلاَّ أستكبِرَ بفَرطِ الإعلاناتِ أُعطيتُ شوكةً في الجسدِ ملاكَ الشيطانِ ليَلطِمَني لئلاَّ أستكبر* ولهذا طلبتُ إلى الربِّ ثلاث مرَّاتٍ أن تُفارقني* فقال لي تَكفيك نِعمتي. لأنَّ قوَّتي في الضُّعفِ تُكْمَلُ* فبكُلِّ سرورٍ أفتخِرُ بالحَريِّ بأوهاني لتستقرَّ فيَّ قوَّةُ المسيح.

إلاّ بالدموع والنسك والصلاة.

وإلى القديس إندراوس يعود إنشاءُ عدد كبير من المواعظ إكراماً لأعياد السيّدِ ووالدة الإله والقديسين، ووضعُ عدد كبير من الأناشيد التي ما زالت محفوظة في كتبنا الليتورجية إلى اليوم.

إلى ذلك رمّم القديس إندراوس الكنائس والأديرة، كما نظّم ملجأً للمرضى والعجزة والمعوزين. دعمه لهم لم يكن بالمال وحسب بل بالحضور الشخصي، بالدرجة الأولى. هكذا وُجد معتنياً بذوي العاهات بنفسه، بالعمل اليدوي الطيّب وكلمة العزاء معاً.

قبيل رقاده قصد القسطنطينية للدفاع عن الإيمان القويم وإكرام الأيقونات. وهناك أوحي إليه بقرب انتقاله. وفي طريق عودته إلى كريت عرّج على جزيرة ميتيلين حيث قضى نحبه في ٤ تموز سنة ٧٤٠ م.

حضور المسيح في شركة الكنيسة

يعلّم آباء الكنيسة القدّيسون أنّ الله في غنى رحمته وعمق محبّته للبشر تنازل عبر تجسّد الكلمة ليلاقي الإنسان في مسيرته التاريخيّة وواقعه الآني، ويضمّه إلى حيّز الألوهة، شافياً الطبيعة البشريّة من كلّ آثار الزلاّت. وقد أدّى تدبير الفداء، الذي أتمّه المسيح على الصليب، إلى تصحيح مسار الإنسانيّة وتوجّهها الحياتي، الذي بدأ يوم أرسل الرب تلاميذه ليكرزوا بالإنجيل ويتلمذوا ويعمّدوا جميع الأمم (متى ١٩:٢٨) متأيّدين بحلول الروح القدس عليهم. وهذا النشر لنور الإنجيل في العالم من أجل تقديس حياة العالم هو عمل الكنيسة بامتياز بل حياتها في مجتمع الناس، حيث تتعهّد الإنسان وتاريخه وحضارته. الكنيسة تعطي حياتنا معنًى خلاصيًّا وغايةً حقّة حين تُحِلُّ فيها النعمة الإلهيّة بالأسرار الإلهيّة وصلاة شعب الله المتقدّس. تنيرُها وتقدّسها، مانحةً إيّاهم كياناً أبديًّا.

والحياة بالمسيح، أي شركة القدّيسين التي تتحقّق في الكنيسة، ما هي إلاّ اندراج الإنسان في ملكوت السموات والحياة الأبديّة منذ الآن. هذه الحياة تبدأ في شركة الكنيسة، حيث يُتِمّ الروح القدس عمل المسيح الخلاصي، الذي يُنجَزُ عند مجيء الرب في مجد ملكوته. إلى ذلك الحين تبقى الإنسانيّة مدعوّةً إلى قبول الإنجيل وإلى تحويل العالم وسائر البرايا، بالتوبة والبشارة، إلى كنيسة. المسيح «بلدةُ الأحياء» اتخذ الطبيعة البشريّة والجسد البشري، لكي يسع في جسده كلّ البشرية ويحوّل كلّ الوجود البشري من مجتمع خاطئ إلى حقيقته الكنسيّة، من حضارة تتّجه إلى الواقع المخلوق الوقتي الفاني إلى سيرة أبديّة في ملكوت السموات غير المخلوق.

يشرح القديس غريغوريوس بالاماس أنّ الرسل القديسين ورعاة الكنيسة، الذين لمعوا بسيرة التقى والفضيلة والجهاد الروحي، يقودون البشر بكرازتهم وتعاليمهم، من الظلمة إلى النور العجيب. هم ينقلون هذا النور إلى كلّ مؤمن، ليجعلوا من أبناء الكنيسة مشاركين في النور ومتنعّمين بكمال الاستنارة بالروح القدس. نعمة الله تقدّس كلامهم وتنير كلّ الذين ينصتون

الإنجيل

(متى ١٦: ١٣–١٩)

في ذلك الزمان لمَّا جاءَ يسوعُ إلى نواحي قيصَريةِ فيلِبُّسَ سأل تلاميذَهُ قائلاً مَنْ يقولُ الناسُ إنّي أنا ابنَ البشر* فقالوا قومٌ يقولون إنَّك يوحنا المعمدانُ وآخرون إنَّك إيليَّا وآخرونَ إنَّك إرمياءُ أو واحدٌ من الأنبياءِ* قال لهم يسوع وأنتم مَن تقولون إنّي هو* أجاب سمعانُ بطرسُ قائلاً أنت المسيحُ ابنُ اللهِ الحيِّ* فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعانُ بنُ يونا. فإنَّه ليس لحمٌ ولا دمٌ كشف لك هذا لكن أبي الذي في السموات* وأنا أقول لك أنت بطرسُ وعلى هذه الصخرةِ سأبني كنيستي وأبوابُ الجحيمِ لن تقوى عليها* وسأُعطيكَ مفاتيحَ ملكوتِ السموات* فكلُّ ما رَبَطتَهُ على الأرض يكونُ مربوطاً في السموات وكلُّ ما حَلَلْتَهُ على الأرض يكونُ محلولاً في السموات.

كلامهم وتنير كلّ الذين ينصتون بإيمان إلى بشارتهم ليدركوا، في بساطة العيش في النعمة، الحقائق السماويّة التي تفوق الطبيعة.

الإله المثلّث الأقانيم يتعهّد واقعنا التاريخي بكلّ ما فيه من إخفاقات، وضعفات، وسقطات، وأفراح، وآلام، ونوح، ويهبنا في المقابل حياته الإلهيّة الأبديّة. هذا المجد معطىً لكلّ مسيحي في خبرة الصلاة والعبادة الكنسيّة والأسرار، حيث يحيا المؤمنون ملء تجسّد الكلمة والأحداث الخلاصيّة في حياة السيّد على الأرض. المؤمنون يذوقون موت المسيح وقيامته كاستنارة وقيامة أولى يرتجون من بعدها القيامة العامّة. وبخلاف الجدّين الأوَّلين اللذين انفصلا عن ذكر الله وسقطا في الموت الروحي، تدعو الكنيسة الإنسانيّة إلى شفاء هذه السقطة، حين تعيدنا بالصلوات اليوميّة إلى ذكر الله وتدبير الخلاص. الكنيسة تقدّس كلّ الخليقة حين تقيم الأسرار. وبهذا يسطع أبناؤها بإشراق نور المسيح، الذي يلبسونه في المعموديّة.

أمّا تذكّر آلام المسيح الخلاصيَّة فيُذاق في الكنيسة كفصح سرّي جديد وعربون للدهر الآتي. الجماعة المسيحيّة تعيش في العبادة والأسرار حياة المسيح الشريفة. الأحداث الخلاصية، كحياة الربّ بالجسد، وحضوره بين الرسل، وتعليمه وأقواله، وفضائله، وعجائبه، وآلامه، وقيامته، وصعوده وإرساله للروح المعزّي، كلّ هذه تستعاد في العبادة اليوميّة للمؤمنين لتبدّل يومياتهم وتمنحها بُعداً أبديًّا، معطيةً الحاضر امتداده الأخرويَ إلى يوم مجيء المخلّص، حيث تبلغ الإنسانيّة كمالها المرجو. الإنسان الذي يحيا في المسيح يعكس الآن في واقعنا ملكوت الله الأبدي ومجد الثالوث القدوس ونوره الآتي.

أسرار الكنيسة هي مدخل إلى الحياة بالمسيح وإلى ملكوت الله. الإنسان يُطعَّمُ في المسيح الكرمة ويحمل ثماراً للحياة الأبدية. يصير إناءً للروح القدس ويشارك بحياة الإله المثلث الأقانيم ومحبّته غير المخلوقة التي تتخطى كلّ أطر وجودنا التاريخي. وهذا كلّه يبدأ في جرن المعموديّة.

أن تكون الكنيسة رسوليّة يعني أنّ فيها رعاةً ومبشّرين ومؤمنين تسلّموا من الرسل ما تسلّموه من الرب لكي يجعلوا حضور المسيح ملموساً في واقع مجتمعاتنا، أشخاصاً يشهدون بوداعتهم، ومحبّتهم، وتواضع قلبهم، أنّ الربّ ما زال حاضراً بيننا في الكنيسة، اليوم، تماماً كما كان حاضراً مع تلاميذه، وأنّ حضوره هذا يبقى لنا عزاءً وافتقاداً وقوّة محيية «كل الأيام إلى انقضاء الدهر، آمين» (متى ٢٨: ٢٠).

جناز الكهنة

جرياً على التقليد السنوي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي لراحة نفوس إكليريكيي الأبرشية الذين رقدوا بالرب، عند العاشرة من صباح السبت ٥ تموز ٢٠٠٨ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb